

الحمد لله رب العالمين، الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

عباد الله: إن القلوب إن صلحتْ صلحتْ أعمالنا، واصلحتْ أحوالنا، وارتفعتْ كثير من مشكلاتنا. وإذا فسدتْ هذه القلوب التي هي القائدة للأبدان والجوارح فسدتْ أعمال العبد، واضطربتْ عليه أحواله، ولم يعد يتصرف التصرف اللائق الذي يرضي ربه ومولاه؛ فحسر الدنيا والآخرة. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)**-البخاري-

والله - عز وجل - يقول: **{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}** سورة الحج 46

والقلب ما سمي قلب إلا لكثرة تقلبه، فهو كثير الثقل بالخواطر والواردات والأفكار والعقائد، ويتقلب كثيراً على صاحبه في النيات والإرادات، كما أنه كثير الثقل من حال إلى حال، يتقلب من هدى إلى ضلال، ومن إيمان إلى كفر أو نفاق، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - **يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)**-الترمذي-

وكذا يقال له: الفؤاد لكثرة تفؤده، أي كثرة توقده بالخواطر والإرادات والأفكار، والإنسان قد يستطيع أن يُصمَّ أذنه فلا يسمع، وقد يستطيع أن يغمض عينه فلا يبصر، ولكنه لا يستطيع أن يمنع قلبه من الفكر والنظر في الواردات والخواطر، فهي تعرض له شاء صاحبها أم أبي، ولهذا قيل له فؤاد: **{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}** سورة الإسراء 36

ما سمي القلب إلا من تقلبه *** والرأي يصرف بالإنسان أطواراً

والنبي - صلى الله عليه وسلم - حينما ذكر التقوى أشار بيده - صلى الله عليه وسلم - إلى صدره كما في حديث أبي هريرة قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَا تَحَاسَدُوا - إِلَى أَنْ قَالَ -: التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ..)**-مسلم- والمرء بأصغريه، وهما: قلبه ولسانه.

ولما كانت حياة الإنسان الظاهرة متعلقة بحياة القلب فإن الإنسان لا يمكن أن يعيش على نحو سوي إلا بسلامة قلبه، فحياة القلب لها تعلق وثيق مؤثر على أفعاله وتصرفاته المعنوية، وكذا ما نسميه بالأمراض القلبية، والإحساسات والمشاعر الداخلية. فالقلب محل الإيمان والتقوى، أو الكفر والنفاق والشرك وما إلى ذلك.

عباد الله: كلكم يعلم أن القلب ملك الجوارح، وهو كما يقول العز بن عبد السلام: "مبدأ التكاليف كلها، وهو مصدرها، وصلاح الأجساد موقوف على صلاحه، وفساد الأجساد موقوف على فساده،

يقول ابن رجب - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: **(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً)** يقول: "إن فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقفي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإذا كان القلب فاسداً قد استولى عليه إتياع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله؛ فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات، بحسب إتياع الهوى هوى القلب".

يقول الحسن البصري - رحمه الله - : "داو قلبك، فإن حاجة الله إلى عبادته صلاح قلوبهم" وهذا معنى صحيح، **(إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**-مسلم-

فمحل نظر الله - عز وجل - هو قلب العبد، فإذا صلح قلبه صلحت أعماله، وكان مقبولاً عند الله - عز وجل - وإذا كان

القلب فاسداً، فلربما ركع صاحبه وسجد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو في الدرك الأسفل من النار كما هو حال المنافقين، يخرجون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في الغزوات، ولربما قدموا شيئاً من أموالهم دفعاً للتهمة عنهم أو حياءً من الناس، ومع ذلك لم تركّ نفوسهم، ولم تصلح قلوبهم، ولا أحوالهم ولا أعمالهم؛ لأن هذه القلوب قد انطوت على معنى سيء أفسدها، على نجاسة كبرى لا تطهرها مياه البحار، وهي الشرك بالله - عز وجل - والنفاق.

كان الحسن البصري - رحمه الله - يجلس في مجلس خاص في منزله لا يتكلم فيه عن شيء إلا في معاني الزهد والنسك والرفق والقضايا المتعلقة بالأعمال القلبية، فإن سئل سؤالاً يتعلق بغيرها في ذلك المجلس تبرم، وقال: "إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر".

وهذا يدل على أن الإنسان ينبغي ألا يغفل وألا يكون شاردًا في زحمة الأعمال ينبغي أن يكون له مجالس يتذاكر فيها مع إخوانه، ترقق قلبه، وتصلح ما فسد من هذا القلب في زحمة الأشغال كزيارة القبور وذكر الموت، وما إلى ذلك من الأمور.

أسأل الله أن يصلح قلوبنا وقلوبكم، وأن يوفقنا لفعل الخيرات، وترك المنكرات،

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

عباد الله: إن هناك أموراً يتم بها صلاح القلب، وهي كثيرة جداً ومن أعظم الأمور التي تصلح القلب وتحييه:

المجاهدة: يحتاج الإنسان إلى مجاهدة دائمة ومستمرة وإلى مكابدة، يقول ابن المنكدر - رحمه الله - وهو من علماء التابعين: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت لي".

نحن عباد الله نحتاج إلى كثير من المجاهدة لإصلاح هذه القلوب.

يقول أبو حفص النيسابوري - رحمه الله - : "حرس قلبي عشرين سنة - كان في مجاهدة ومكابدة مع هذا القلب يجرسه من كل ما يفسده - ثم حرسني عشرين سنة". إذا استقام قلب العبد؛ استقامت أعماله وجوارحه، فإذا جاء الشيطان بخاطرة من الخواطر قبل أن يستقيم قلبه وينبت على الطاعة؛ فإن القلب يحتاج إلى مدافعة عظيمة لهذه الخواطر، فإذا صار في القلب قوة وصلابة في الإيمان، واستقام القلب لصاحبه وروضه على طاعة الله - عز وجل - والإقبال عليه؛ فإنه يجرس صاحبه، فإذا رأى شيئاً تلتفت إليه كثير من النفوس الضعيفة، ويتطلع إليه أصحاب القلوب المريضة، فيطمع الذي في قلبه مرض؛ فإن هذا الإنسان ينصرف قلبه عن هذه الأمور المشينة، ولا يلتفت إليها، ويتذكر مباشرة عظمة الله وجلال الله ورقابة الله، فلا تتحرك نفسه للمعصية، أو الوقوع في الريبة والدخول في أمور وطرائق ليس له أن يدخل فيها "حرس قلبي عشرين سنة فحرسني عشرين سنة، ثم وردت عليّ وعليه حالة صرنا محروسين جميعاً".

ومما يصلح القلب أيها الإخوة: كثرة ذكر الموت: فإنها اللحظات التي يخرج الإنسان فيها من الدنيا ويفارق سائر الشهوات واللذات، ويفارق الأهل والمال الذي أتعب نفسه في جمعه في لحظة ينكسر فيها الجبارون ويخضع فيها الكبراء ولا يحصل فيها للعبد تعلق بالدنيا، ولهذا يكثر من الناس التصديق في تلك الأحوال ولربما كتب الواحد منهم في حال صحته وعافيته وصية يوصي بها أنه إذا مات وانقطعت علاقته من الدنيا أن يخرج من ماله كذا وكذا..

ومما يحيي القلب: مجالسة الصالحين الذين يذكرون الله - عز وجل - ويذكرون بالله بالنظر إلى وجوههم: من الناس من إذا نظرت إلى وجهه انشرح صدرك وذهبت عنك كثير من الأوهام والهموم والغموم والمخاوف.

قال ابن القيم - رحمه الله - : "كنا إذا حدق بنا الخصوم وأرجفوا بنا وألبوا علينا، واعترتنا المخاوف من كل جانب؛ أتينا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : فو الله ما إن نرى وجهه حتى يذهب ذلك عنا جميعاً لما يرون في وجهه من الإنارة، وما يرون فيه من المعاني الدالة على انشراح الصدر وثبات القلب ومن المعاني الدالة على الخوف من الله - عز وجل - والتقوى والرجاء وما إلى ذلك من الأمور التي تنعكس في وجه العبد، فإن الوجه مرآة لهذا القلب ولهذا قيل: "ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحة وجهه وفلتات لسانه".

ودخل رجل على عثمان - رضي الله عنه - ، فقال: "أيعصي أحدكم ربه ثم يدخل علي؟ فقال الرجل: أَوْحِيَّ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -!؟ يعني كيف علمت؟ فأخبره أنها فراسة المؤمن، فالوجه تنعكس فيه أحوال القلب فيكون الوجه مظلماً لما في القلب من الظلمة، ويكون الوجه مشرقاً لما في القلب من الإشراق.

وأمرٌ رابع يصلح به القلب: وهو أن يكون تعلقه بربه ومعبوده وخالقه جل جلاله: إذا تعلق القلب بالمخلوق عذب بهذا المخلوق أياً كان سواء كان رجلاً أو امرأة أو سيارة أو عقاراً أو مالاً أو غير ذلك.

ولهذا كان ابن القيم - رحمه الله - يقول: "إن في القلب وحشة لا يذهبها إلا الأُنس بالله، وفيه حزن لا يذهبها إلا السرور بمعرفته، وفيه فاقة - يعني: فقر - لا يذهبها إلا صدق اللجوء إليه، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تذهب تلك الفاقة أبداً".

ومما يصلح القلب: الأعمال الصالحة: بجميع أنواعها كما قال ابن عباس - رضي الله عنه -: "إن للحسنة نوراً في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وزيادة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق.. وإن للسيسة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق".

ومما يصلح القلب: أن نستعمله فيما خلق له، هذا القلب خلق ليكون عبداً لله، خلق ليعمل أعمالاً جلييلة هي الأعمال القلبية الصالحة، فإذا أشغل القلب بغيرها تكدر وفسد.

ومن أعظم الأعمال الصالحة التي تصلح القلب: ذكر الله - عز وجل - وقراءة القرآن: والحديث عن هذا يطول، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ولقد قال سليمان - رحمه الله - : "الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسم، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا-

وقد أحسن من قال:

دواء قلبك خمسٌ عند قسوته * فأذهب عليها تفرز بالخير والظفر**

خلاء بطنٍ وقرآنٌ تدبره * كذا تضرع بك ساعة السحر**

ثم التهجد جناح الليل أوسطه * وأن تجالس أهل الخير والخير**

اللهم نسألك قلباً حياً عامرة بالإيمان، ونعوذ بك من موت القلوب، ومن الكفر والفسوق والعصيان، ونعوذ بك من الهوى والطغيان، ونسألك الخشية والإنابة والخضوع بين يديك، وارزقنا التواضع والسكينة، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، واجعلنا من الراشدين.

وصلّى على نبيك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيراً.